دور التدقيق اللغوي في إعلام هادف ورصين

المقدمة:

النهوض باللغة العربية الفصحى أمنية كل مثقف ودارس ومهتم بقضايا أمته، وشؤون علوها وسموها، خاصة وهي حلقة الوصل بين تاريخنا العريق وموروثنا الحضاري، والأجيال اللاحقة التي بات يُخشى عليها الانفلات من معين هذا المسار الخضل، جراء تزاحم اللغة العامية المحكية، وصعوبة تعلم قواعد النحو والصرف والإملاء العربي، وغزو الأجهزة الحديثة ومواقع التواصل بالكثير من اللغات واللهجات التي لا تقيم للفصحى وزنا.

ويتسم دور المختص باللغة العربية بأهمية بالغة في المجال الإعلامي، باعتباره مجالاً ناطقاً بلسان الأمة ومدى تحضرها، وارتباطها الوثيق بهويتها وانتمائها، الأمر الذي أضاف مسؤوليات مضاعفة على المصححين اللغويين في المجال الإعلامي (المقروء والمرئي والمسموع).

(التدقيق اللغوي وأهميته في صياغة النص):

كثيراً ما تنصرف أذهاننا إلى وجود خطأ ما في النص، صرفياً أو نحوياً، أو حتى خلل في التراكيب والأبنية اللغوية، فضلاً عن استعمال المفردات العامية أو المستهجنة، وهي حالة طيبة أن نستشعر الخطأ، فلا تتقبله ذائقتنا اللغوية والبلاغية والجمالية، فنعمد إلى تصحيحه وتغييره قدر الإمكان، حتى وإن لم نكن مصححين مختصين، وهي ملكة يتحلى بها الكثير من القراء والأدباء بمختلف مستوياتهم الثقافية.

وكم لاحظنا انهيار موضوعية النص وفكرته وأسلوبيته جراء كثرة أخطاء النص التي باتت تشكل هاجساً مقلقاً مغيباً لمعالم النص وجماليته، وحتى أهدافه التوصيلية.

يقول الروائي المصري يوسف زيدان: «حضرنا جلسة بحثية أدبية، وكنا منبهرين بروعة الباحث وأفكاره التنويرية غير المطروقة، ورصانة البحث وجزالته، غير أني تفاجأت بعد خروجنا من القاعة بأحد الزملاء وهو يشير إلى خطأ الباحث في مورد نحوي، متناسياً البحث وموضوعيته وفكرته العميقة..!!».

وهذا يلخص أهمية التدقيق اللغوي في حياتنا الثقافية عموماً، فهو يشذب خياراتنا التدوينية، وينقح أفكارنا وأسلوبنا، فاللغة وعاء الفكر، وعلينا العناية بذلك الوعاء

ذائقة وجمالاً، بحيث يخرج نصنا ونتاجنا المعرفي مُعافى إلى درجة ما من الخلل الصرفي والنحوي وحتى البلاغي في مراحل متقدمة.

والسؤال المتبادر للذهن في هذا المضمار:

إلى أي حد يمتلك المدقق صلاحيات في معالجة النص؟

وهذا السؤال بطبيعة الحال ناتج عن الفهم المبتني على الوظيفة الروتينية للرقيب اللغوي في معالجة النصوص إملائياً وصرفياً ونحوياً، دون تدخل جراحي منه إن أحس بجمود النص أمامه، وفتوره وموته سريرياً!!..

لذلك ينبغي على المصحح اللغوي أن يتحلى بروح الموضوعية في معالجة النص المتأتية من سعة اطلاعه على كثير من النصوص، ولا يقتصر فقط على معاينة الخطأ الذي يصيب المفردة دون رؤية النص كوحدة متكاملة، وملء فجواته والمواطن التي أخفق فيها الكاتب في اشباع الفكرة.

وهي مرحلة متطورة ربما يبلغها الرقيب اللغوي إن أتيحت له الحاضنة الإبداعية التي ترعاه، وتوجهه نحو سلم النجاح في ميدان التدقيق، وميدان الإسهام التدويني الفاعل والمؤثر.

فما الضير إن قام المدقق باختيار عنوان أجمل، أو مقدمة أدبية جميلة، أو خاتمة مناسبة، وحذف تراكيب واضافة أخرى، دون المساس بالمحور العام لفكرة الموضوع؟

هناك من الأدباء من لا يرغب بذلك، لغاية ما في نفسه، ويرى أن نصه متكاملاً، ولا يجوز لأحد تغيير أي ركن فيه، بل ويذهب بعيداً إلى مجادلة المصحح في معالجته لبعض المفردات الخطأ!!.

وهناك صنف آخر يترك لك مطلق الحرية في التصرف بالنص، وهذا نابع من ثقته بالمؤسسة التي ينشر فيها، والرقيب اللغوي الحريص على سمعة مؤسسته وإصداره والمنظومة الفكرية والثقافية لانتمائه بشكل عام.

طرائق الصياغة الصحيحة:

للصياغة الأدبية والخبرية طرائق متعددة ومتنوعة، وكلٌّ حسب ثقافته وذائقته وأسلوبه، وكلٌّ أيضاً حسب مدخله للنص، والزاوية التي يرى فيها أنها الأفضل في طرح فكرته.

وهذه المسائل برأيي لا يمكن تعليمها عن طريق دورات أو ورشات عمل، بل هي مواهب تصقل بالمتابعة والاهتمام من قبل الأديب أو الصحفي.

نعم، يمكن من باب آخر إسداء نصيحة أو رؤية فنية ما، ولكنها ليست قاعدة قسرية، فما أراه أنا قد لا تراه أنت بالضرورة، ويبقى لكل كاتب صياغته وطرحه وأسلوبه الذي قد يتطور بالقراءة وصقل الموهبة، أو قد يبقى جامداً على وتيرة واحدة.

أما إن صادف المصحح اللغوي صياغة ما ركيكة، وفي غير محلها، وإن هناك تراكيب أجدى وأفضل، فعليه من باب الحرص على جمالية النص أن يغير ويعدل – وإن لم يكن هذا الأمر من صميم اختصاصه، كما يذهب الى ذلك بعضهم – فينبغي إعطاء فسحة أكبر للرقيب اللغوي، وأن لا تُسلب منه حرية التعديل وتحرير ما يراه مناسباً، كما شاهدته عند بعض المؤسسات الإعلامية حيث كانوا يطوقون الإصدار بكم كبير من المشرفين غير المهنيين الذين ما انفكوا يتفلسفون لغوياً، وفنياً، ويدلون دلوهم في كل شاردة وواردة، وإن كان ذلك على حساب السلامة اللغوية والفنية والجمالية للنتاج الأدبي أو الخبري.

كيفية إحراز جمالية النصوص الفنية واللغوية:

لابد من وجود خزين كبير من المفردات اللغوية والتراكيب البلاغية، يمتلكها الكاتب ليكون نتاجه في كل مرة جميلاً ومتنوعاً ومحلى بأل الجمال والمسحة الأدبية، وكل الأفكار الجميلة والمفردات الساحرة مطروحة في الأسواق – كما يعبرون – وهي ليست حكراً على أحد، أو تناصاً، أو سرقة أدبية، فالناس تتواصل عن طريق اللغة، وهي حاضنة المعاني والأفكار، واللبيب المهذب باحساسه المرهف يستطيع رسم لوحة فنية جميلة باستخدام لغة مأنوسة ليست بالقديمة الصعبة، وكذلك ليست بالمحكية الدارجة، أو البسيطة السهلة الى حد التفريط بجزالة المفردات وقوة التراكيب والأبنية اللغوية الرصينة.

السمات الأساسية التي ينبغي أن يتحلى بها من يلج مضمار (الميديا) مدققاً ومنقحاً لغوياً، وما يميزه عن رفقائه من المختصين بشؤون التدريس فقط:

١- أن يتسم بسعة اطلاع في الأمور اللغوية من معاجم ودراسات لغوية وبلاغية، بحيث يكون له إلمام معتد به، يمكنه من اجتياز النصوص وضبطها بنجاح، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنه لا يتسنى لأي دارس مهما بلغ من شأن ومنزلة أن يلم بكل فروع اللغة ومفرداتها ومعانيها وتراكيبها ومترادفاتها وصرفها ونحوها، والآراء الكثيرة حول الاشتغال والعلل، ونظرية العامل والتقدير وغيرها

الكثير، فهو أمر عسير مع حجم ما وصل إلينا من موروث أدبي ولغوي ضخم على مر الأجيال، الأمر الذي يدعو المدقق للأخذ بما يتيسر، وبما هو أكثر ابتلاء وتداولاً بين يديه.

٢- أن يحاول إيجاد التأويلات والمبررات والتقديرات المناسبة التي تحوّل النص الإعلامي إلى مادة مقبولة مأنوسة للمتلقي، فلا يكون صارماً بحيث لا يتقبل من الكاتب إلا وجها واحداً من التخريجات اللغوية للمفردة والتركيب، بل يكون مرناً متفهماً لما يحاول الكاتب إيصاله بيسر وسهولة، وهذا لا يأتي إلا عن طريق القراءات المتعددة للمادة الإعلامية، فهي نصوص يفهمها كل المثقفين في الساحة العربية، كُتبت بلغة وسطية ليست بالعامية الركيكة، ولا الفصيحة البعيدة عن روح العصر ومتغيراته على مستوى اللهجات والتراكيب والمصطلحات.

وليس بالضرورة كذلك أن تكون وفقاً لنصوص المعلقات والعصر الجاهلي المعروفة بتعقيداتها ومفرداته الصعبة التي لا يتسنى للكثيرين فضلاً عن المختصين فهمها في الوقت الحاضر، بل يحاول المدقق أن يجد سبلاً تحاول إيصال النص إلى بر الأمان دون خطأ لغوي فاحش، ودون تفريط في التسامح المؤدي لإهمال ضبط النص بشكل غير مقبول.

٣- أن يمتلك الأدوات المساعدة في عمله من معاجم ، ومصادر لغوية منوعة، سواء في جهاز الحاسبة أو الموبايل أو الكتب المطبوعة، فمهما كان ذا اطلاع ومعرفة وخبرة، عليه أن يرجع لتلك المعاجم والمصادر لتساعده في عمله، فلا يتكل دائماً على ما يمتلكه من مخزون لغوي، بل عليه الاطلاع والمراجعة وتجديد معلوماته.

٤- أن لا يبخل بالنصيحة والمشورة اللغوية، والإجابة عن أي تساؤل يوجهه إليه الصحفيون والعاملون معه في الإعلام، بطريقة تحبب إليهم اللغة، وترسخ قواعدها في أذهانهم، وحين لا يجد الإجابة حاضرة –وهو أمر مألوف بطبيعة الحال- يعدهم بأنه سيراجع المفردة، ويعطيهم الإجابة لاحقاً.

٥- أن يتقبل الرأي المضاد في حال اشتبهت عليه مسألة ما، ثم يراجعها لاحقاً، وهذه المرونة تضيف إلى رصيده اللغوي الكثير، بدلاً من التزمت والتعنت على رأي واحد، فهي أمور تبعده عن الهدف الأسمى للمعرفة وطلب العلم.

٦- أن يأخذ بنظر الاعتبار أن هناك الكثيرين من المطلعين على الشأن اللغوي من الدارسين والمثقفين والإعلاميين وغيرهم، سواء من المختصين أو غير المختصين، الأمر الذي يعرضه للكثير من الأسئلة المباغتة، والمناقشات حول هذه المسألة أو تلك، فكيف سيتعامل مع هذا الأمر؟ هل يتعصب لرأيه فقط؟ هل

يمتنع عن الإجابة عن أي سؤال مباغت؟ هل يقتصر على عمله الروتيني في التدقيق الورقي بصمت دون مداخلة هنا أو هناك؟ فالمرجو منه، هو أن يكون واعياً لكل تلك الأمور، ولا يضع نفسه في موضع المتعصب من جهة، ولا في موضع الإهمال وعدم الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقه في التعاطي مع الجميع بصبر وتأنٍ وروية، ليخرج النتاج الإعلامي متكاملاً مُعافى.

٧- أن لا يحاول التهكم بما يجد من تراكيب ومفردات غير صحيحة، ويهوّل الأمر على الكاتب، أو يستدعيه لمحاكمته، بل يعالجها برحابة صدر دون أن احراج للكاتب، ودون مطالبته بتبرير أو إيجاد بديل لجملة معينة، كما لاحظت عند بعض المدققين، حين يطالب الكاتب بمعالجة جملة ما، رغم أنه يمتلك الصلاحية لتغيير ما يراه مناسباً، فالتصادم مع الكاتب يوقعه بمحاذير لا تصب في خدمة النتاج الإعلامي، بل يتفهم الخطأ ويغيّره دون المساس بشخصية الكاتب والتقليل من شأنه.

فالكاتب غير معني بتغيير ما يكتب من الناحية اللغوية (صرفاً ونحواً)، إن كانت الفكرة واضحة، بقدر مسؤولية المدقق في إيجاد التخريج المناسب لكل حالة لغوية تعترضه.

٨- أن يحاول الاشتراك مع زملائه في الكتابة والتدوين، فهو يساعدهم ويحمل عنهم باباً من الإصدار أو توجهاً معيناً من جهة، ويعمد الى تجنب الأخطاء في تأليفه من جهة أخرى، فهو سيتفهم الوضع النفسي للكتّاب والمؤلفين، وصعوبات التدوين، وسيتفهم مصادر الخطأ وطرق احتوائه ومعالجته.

وهذه الشراكة مع زملائه تخلق جواً من الألفة المهنية والمعرفية والنفسية بحيث تؤثر إيجابياً على المنشور.

٩- أن يحاول إضفاء الثقة عند الكتّاب، ويشعرهم بأنهم جيدون لغوياً، وأخطاءهم قليلة، أو غير موجودة، وهذا سوف يعزز رغبتهم في كتابة نصوص صحيحة خالية من الأخطاء قدر الإمكان.